الكابتن انتوني ايدن

ممثل بريطانيا في جمعية الأمم

عقد مجلس جمعية الامم في النصف الاول من شهر ديسمبر اجتماعاً خطيراً للنظر في استفتاء وادي السار واتهام حكومة يوغوسلافيا لحكومة المجر في صدد جريمة مرسيليا التي صرع فيها الملك اسكندر اليوغوسلافي والمسيو بارتو وزير خارجية فرنسا . وكان جو الاجتماع ملبداً بغيوم الحرب لان اي اضطراب في السار كان يحتمل ان يفضي الى ارسال جيش فرنسي اليه وهذا ينطوي على خطر . ولان تحزب ايطاليا للمجر وفرنسا ليوغوسلافيا كان يهدد بجفاء العلاقات بين الامتين اللاتينيتين الكبيرتين بعد ما مضت في العهد الاخير في سبيل الصفاء والتوثق . فأتيح للكابتن انتوني ايدن ممثل بريطانيا ان يبدد تلك الغيوم اذ اعلن ان بريطانيا مستعدة ان تبعث بفرقة من الجيش البريطاني لحفظ الامن في السار فقبلت المانيا وفرنسا هذا الاقتراح ورضيت ايطاليا ان تشارك بريطانيا في تنفيذ اقتراحها . لما أحرز الكابتن ايدن هذا النصر في مسألة السار استطاع ان يتدخل في المسألة الثانية تدخلاً أفضى الى الاتفاق على صيغة قرار رضيت به الحكومتان اليوغوسلافية والمجرية]

قلما يتاح لشاب في هذا العصر ان يمثل أمة كبيرة ، بل امبراطورية مترامية الاطراف ، في محادثات خطيرة مثل محادثات نزع السلاح أو مفاوضات جمعية الامم . لان رجال السياسة لا يكسبون الحنكة إلا بالمرانة الطويلة . والمرانة وليدة الذكاء والاستعداد الفطري من ناحية ، واغتنام الفرص واتساع مجال العمل من ناحية أخرى . فالذين ينتظمون في السلك الدبلوماسي ، قلما يبلغون رتبة وزير مفوض أو سفير ، إلا بعد مرانة طويلة في مختلف عواصم الدنيا ، ومع ذلك لا يبلغون المقام الاول بين الوزراء والسفراء إلا اذا بدا منهم ما يدل على استعداد فطري ، وحنكة طبيعية ، في معالجة الشؤون الخطيرة ، التي لابدّ في معالجتها ، من الاتصال بالرجال المحنكين ، وخوض معترك الارادات القوية والعزائم التي لا تتقهقر

ولكن الكابتن ايدن ، وكيل وزارة الخارجية البريطانية سابقاً ، وحامل أختام الملك الآن ، الذي تعتمد عليه الحكومة البريطانية في ان يمثلها في محادثات نزع السلاح وجمعية الامم ما يزال شابًّا في السادسة والثلاثين ، بيد انه أبدى من الاستعداد الفطري والحنكة في المفاوضات الدبلوماسية ، ما حمل بعض النقاد على القول بأنه ، قد يكون زعيم المحافظين المقبل

***

لاسرة ايدن مقام في حياة بريطانيا العامة يرتد الى بضعة قرون . فأحد رجالها في عصر السياسي بت Pitt منح لقب لورد وعين حاكماً للهند . وكان السر وليم ايدن والد الكابتن ايدن من سراة

العهد الفكتوري . اما ابنه الاكبر فقتل في السنة الاولى من الحرب الكبرى . فورث لقبه ابنه الثاني تيموثي . اما ابنه الثالث انتوني — موضوع بحثنا اليوم — فانتظم في الجيش البريطاني وهو في الثامنة عشرة من عمره وشهد الحرب في الجبهة الغربية ونال وسام صليب فكتوريا ولكنهُ كان من صغره ميالاً الى الدرس والبحث من جهة . والى الحياة العامة من جهة اخرى . فمنى وهو في مدرسة ايتون باللغات فاتقن الفرنسية . بيد انهُ ادرك في خلال الحرب انهُ لم يخلق للجندية فلما عاد من ساحتها ، انتظم في جامعة اكسفرد وتوفر على درس اللغات الشرقية ، فبرع فيها ، وعين عضواً في الجمعية الآسيوية الملكية وعرض عليهِ منصب كاتب في وزارة الخارجية فرفضهُ مفضلاً ان يصل الى وزارة الخارجية عن طريق البرلمان . وخاض معركة الانتخابات العامة سنة ١٩٢٣ تخذل فيها ، فرحل رحلة الى الشرق الاوسط وكتب كتاباً يصف فيهِ رحلته . بيد أن وستمنستر (مقر البرلمان) كان يناديه فعاد إلى بلاده وخاض معركة الانتخابات ثانية ، في دائرة ، وشحت لها نسيبته كونتسة وركشير وهي من اشهر سيدات المجتمع الانكليزي ، فانتزعها منها ، وما يزال حتى الساعة ممثلاً لتلك الدائرة في مجلس النواب

***

قضى في المجلس ثلاث سنوات ، قبلما تعلم اساليبه ، فلما عرض عليهِ السر اوستن تشمبرلين ان يكون سكرتيره البرلماني سنة ١٩٢٦ ، رحب بهذه الفرصة ، التي ما زال يترقبها ، لتكون سبيله الى وزارة الخارجية البريطانية . فهو لم ينتظم في السلك الدبلوماسي قط ، وما اصابهُ من النجاح ، في جنيف وباريس وسائر العواصم ، في مفاوضات دبلوماسية دقيقة ، انما يدل على انهُ دبلوماسي بالفطرة

وظل الكابتن ايدن سكرتيراً برلمانيًّا للسر اوستن تشمبرلين ، حتى سنة ١٩٢٩ ، فلما سقطت حكومة المحافظين رجع الى مقعده ، كنائب عادي . ولما أنشئت الحكومة القومية سنة ١٩٣١ رفع درجة اخرى في سلم الارتقاء السياسي اذ عين وكيلاً برلمانيًّا لوزارة الخارجية ، واصبح بذلك ثاني السر جون سيمون وزير الخارجية نفسه في تسيير دفة السياسة الخارجية البريطانية . ولا يخفى ان وكيل وزارة الخارجية البرلماني ، له من العمل في البرلمان ما يرهقهُ . بيد ان الارباب كانت تعطف على الكابتن انتوني . فان رئيسه السر جون سيمون ، أصيب بضعف في صيف سنة ١٩٣٣ ، اقتضى غيابه عن الوزارة لاخذ قسط من الراحة ، فوقع عبء المفاوضات الدقيقة الخاصة بنزع السلاح وجمعية الامم وما اليها من المشكلات العالمية ، على كتفي هذا الشاب . وكان من الطبيعي ان يتسلم مكدونلد قيادة الدفة ، وهو الرجل الذي يحب حضور المؤتمرات الدولية والقاء الخطب فيها . وانما يقال ان وجود صديقه القديم وخصمه الحديث المستر هندرسن في رآسة مؤتمر نزع السلاح ، حال دون ذهاب مكدونلد الى جنيف في السنتين الاخيرتين ، فلما عهد الى ايدن في ذلك ، ادهش رجال السياسة الاوربية المحنكين بذكائه وكياسته وحنكته على صغر سنه . لذلك عين في اوائل السنة الماضية (١٩٣٤) في

منصب رسمي ، هو منصب حامل ختام الملك ، على ان يتفرغ لشؤون نزع السلاح ، وجمعية الامم ، ممثلاً وزارة الخارجية البريطانية فيها جميعاً

***

على الوكيل البرلماني لوزارة الخارجية البريطانية ، ان يجيب عن الاسئلة التي يوجهها الاعضاء الى الوزير ، وهو عمل مملٌّ لمن كان من طبع الكابتن ايدن وخلقه ، اذ يتحتم عليه ان يجيب في كثير من الاحيان اجوبة بُلهاً ، كقوله مثلاً : «الجواب عن الشق الاول من سؤال العضو المحترم بالنفي ، واذن فلا محل للشق الثاني من السؤال» . بيد انَّ كثرة عمل وزارة الخارجية في جمعية الامم وما يتبعها من الشؤون ، وعرض السير جون سيمون ، او اعياؤه ، مهَّدا له سبيل تمثيل بريطانيا في محادثات نزع السلاح ، واجتماعات جمعية الامم

واذن نرى ان مكانته في مجلس النواب البريطاني ، قائمة على نجاحه في معالجة ناحية خاصة من الشؤون الخارجية . فاذا سرت الكلمة في دهاليز مجلس النواب — « ايدن يتكلم » — هرع النواب الى مقاعدهم فيرون شابًّا طويل القامة نحيف البنية حسن البزة ، عليه في وقفته ونظرته ولفظه وملبسه ، دلائل الارستقراطية . في خطابته حرارة ، ولكن ليس فيها قوة وعنف ، كلامه رشيق معقول ، وصوته هادىء متزن ، لا تتبين فيه اثرٌ للعجلة التي اصبحت داء هذا العصر . فاذا كان عنده ما يقوله في موضوع ما ، قاله ببساطة وصراحة ، يخالطهما شيء يسير من الميل الى الفصاحة الخطابية

وهو يؤمن بجمعية الامم حتى لقد قال فيه احد كبار الكتاب الانكليز ، المشهورين باصابة النكتة البارعة والحكمة العالية او السخرية اللاذعة في عبارة واحدة ، « ان ايدن من اولئك الرجال النوادر الذين يدهشونك لانهم يؤمنون حقيقةً بجمعية الامم» . ولا بني عن الدعاية لها في بريطانيا في الفترات التي تتخلل زياراته الى جنيف فاذا نفخ زعماء حزبه في الابواق طالبين زيادة الاسلحة البريطانية في الماء وتحت الماء وفوق اليابسة ، بيَّن ايدن لقومه أن مؤتمر نزع السلاح في جنيف هو البديل الوحيد من تنافس عام في التسلح لا بد ان يفضي الى نشوب الحرب العالمية من جديد — ألا تذكر انهُ كان في الثامنة عشرة او في التاسعة عشرة لما انتظم في سلك الجيش وشهد فظائع الحرب وأهوالها في الجبهة الغربية مدى اربع سنوات ؟ — بل انك تكاد تحسبه قريباً بعض القرب من آراء الاشتراكيين والعمال . ولكنهُ يذهبهم ، اذ يعتقدون مجالسهم ، ويقترحون مقترحات مثالية كمالية لحفظ السلام ، بان جنيف وجمعية الامم ومؤتمر نزع السلاح ، هي السبل العملية الوحيدة التي قد تستطيع تحقيق امانيهم . فهذا الشاب الذي تتخلل الفتوَّة والحماسة نظراته السياسية الرزينة اذا قورنت بهرم السر جون سيمون وتحليله المنطقي الخالي من الشعور في غالب الاحيان ، يجعل الكابتن ايدن ذا مكانة خاصة في مجلس النواب البريطاني بل في ميدان المفاوضات الدبلوماسية الاوربية